

الحلقة التاسعة والثلاثون

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

مستمعي الكريم، ما هو الأهم بنظرك غسل الجسد أم تطهير القلب والفكر من الداخل؟ ولماذا يغسل البعض أجسادهم أو ما يُسمّى بالوضوء قبل الصلاة؟ وهل الله يهتم غسل أجسادنا أم يطلب تطهير قلوبنا وأفكارنا أولاً؟ سنحاول الإجابة عن هذه التساؤلات في لقاء اليوم.

كنا قد تحدثنا في اللقاء الماضي عن احتجاج القادة الدينيين للمسيح بسبب تعدي تلاميذه لتقليد الشيوخ بعدم غسل أيديهم عندما يأكلون خبزاً. فأجابهم المخلص المسيح كاشفاً عن تعديهم هم لوصية الله التي تتعلق بإكرام الوالدين. وأنهم أفتوا بأنه يمكن للشخص أن يتجنب الاعتناء بوالديه مادياً، إذا قدم مساعدة للهيكل. وأعلن المسيح أنه قد تمت فيهم بذلك نبوءة النبي إشعياء، الذي تنبأ أن هذا الشعب يقترب إلى الله بفمه ويكرمه بشفتيه، وأما قلبه فمبتعد عنه جداً. وأن عبادتهم الله قد أصبحت باطلة، إذ هم يعلمون تعاليم الناس وتركوا وصايا الله.

ثم أضاف المسيح قائلاً للجموع المحتشدة حوله: «لَيْسَ مَا يَدْخُلُ الْفَمَ يُنَجِّسُ الْإِنْسَانَ، بَلْ مَا يَخْرُجُ مِنَ الْفَمِ هَذَا يُنَجِّسُ الْإِنْسَانَ... أَلَا تَفْهَمُونَ بَعْدَ أَنْ كُلَّ مَا يَدْخُلُ الْفَمَ يَمْضِي إِلَى الْجَوْفِ وَيَنْدَفِعُ إِلَى الْمَخْرَجِ؟ وَأَمَّا مَا يَخْرُجُ مِنَ الْفَمِ فَمِنْ الْقَلْبِ يَصْدُرُ، وَذَلِكَ يُنَجِّسُ الْإِنْسَانَ، لِأَنَّ مِنَ الْقَلْبِ تَخْرُجُ أَفْكَارٌ شَرِيرَةٌ: قَتْلٌ، زِنَى، فَسْقٌ، سَرِقَةٌ، شَهَادَةٌ زُورٍ، تَجْدِيفٌ. هَذِهِ هِيَ الَّتِي تُنَجِّسُ الْإِنْسَانَ. وَأَمَّا الْأَكْلُ بِأَيْدٍ غَيْرِ مَغْسُولَةٍ فَلَا يُنَجِّسُ الْإِنْسَانَ» (بشارة متى ١٥: ١١، ١٧-٢٠). سنأمل الآن بتصريح المسيح الهام هذا.

مستمعي العزيز، لقد أراد المخلص المسيح لفت الانتباه إلى الأمر الحقيقي الذي ينجس الإنسان. وأن قذارة الجسد يقتصر تأثيرها على الجسد فقط، ولا تعني أن الإنسان نجس. بينما نجاسة القلب والفكر من الداخل هي التي تنجس الإنسان بالفعل. ولهذا

قال المسيح أن الأكل بأيد غير مغسولة لا ينجس الإنسان. إن الذي ينجس الإنسان هو ما يصدر عن القلب من أفكار شريرة، هذه الأفكار التي قد تتحول إلى أعمال شريرة فاسدة. إن الفعل الشرير إذن يبدأ في القلب أو الفكر، ولهذا نجد أن المسيح وضع أصبعه على المشكلة الحقيقية في دواخلنا، أي أساس العلة في حياتنا، والمصدر الذي يصدر عنه الشر.

وهنا عدّد المسيح هذه الأفكار الشريرة التي تصدر عن القلب وهي: «قَتْلٌ، زِنَى، فسُقٌ، سِرْقَةٌ، شَهَادَةٌ زُورٍ، تَجْدِيفٌ». وبالطبع يوجد غيرها الكثير من الأفكار الشريرة التي قد تتحول إلى أعمال فاسدة يقوم بها الإنسان، كالبعوض والحقد والأنانية، والسكر ولعب القمار، وغيرها من الأفكار الشريرة. إن تطهير القلب والفكر في الداخل هو الأمر الذي يجب أن نهتم به، وليس غسل الجسد من الخارج. لكن هذا لا يعني أننا يجب أن لا نهتم بنظافة أجسادنا، وبقواعد الصحة العامة، إذ لم يكن هذا قصد المخلص المسيح بتاتاً، بل هو أراد أن يلفت انتباهنا إلى الأمر الحقيقي الذي ينجس حياتنا.

ولهذا نقول إن غسل الجسد قبل الصلاة أو ما يُسمّى بالوضوء، لا يعني الله من قريب أو بعيد، ولا علاقة له بالتطهير الحقيقي لنفوسنا من الداخل الذي يجب أن نسعى له. إن حالة أعماقنا حيث لا يستطيع الآخرون أن يروا، هي أكثر أهمية عند الله من نظافة الجسد، وما في قلوبنا هو الأهم. فهل ترانا نهتم بتطهير قلوبنا من الداخل كما نهتم بنظافة أجسادنا من الخارج؟ وكما نحرص على أن يبدو مظهرنا الخارجي نظيفاً ولائقاً أمام الآخرين؟ ذلك هو الأمر الهام يا صديقي الذي أراد المخلص المسيح أن يلفت انتباه الجموع وانتباهنا إليه.

صديقي المستمع، لقد كشف المخلص المسيح الحقيقة بعينها. فأى منا يريد أن يقوم بعمل ما، يفكر به أولاً، مرة ومرتين وثلاث، قبل أن يُقدم على هذا العمل. إن العمل سواء كان خيراً أم شراً يبدأ في الفكر أو القلب أولاً، وعندما يستحوذ هذا الفكر علينا نقوم بتنفيذه، بالرغم من معرفتنا للعواقب. هل تعلم مستمعي أن الخطيئة التي تسيطر على قلوبنا، هي التي تفصل بيننا نحن البشر الخطاة وبين الله القدوس؟ فالله لا يستطيع حتى أن ينظر إلينا فكيف يقبل صلاتنا؟

ولهذا كتب النبي إشعياء قائلاً: «أَتَأْمُكُمُ صَارَتْ فَاصِلَةً بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِلَهُكُمْ، وَخَطَايَاكُمْ سَتَرَتْ وَجْهَهُ عَنْكُمْ حَتَّى لَا يَسْمَعَ» (إشعياء ٥٩: ٢). إن الخطيئة والآثام إذن هي التي تفصل بيننا وبين الله القدوس. أما النبي والملك داود فلقد كتب قائلاً: «هَأَنْذَا

بِالإِثْمِ صُورْتُ، وَبِالْخَطِيئَةِ حَبَلْتُ بِي أُمِّي» (مزمور ٥١: ٥). نعم، لقد ولدنا جميعاً بالخطية والإثم، هذه هي طبيعتنا البشرية، فنحن خطاة سواء اعترفنا بذلك أم لا.

لهذا صلى النبي داود قديماً قائلاً: «ارْحَمْنِي يَا اللَّهُ حَسَبَ رَحْمَتِكَ. حَسَبَ كَثْرَةِ رَأْفَتِكَ امْحُ مَعَاصِيَّ. اغْسِلْنِي كَثِيرًا مِنْ إِثْمِي، وَمِنْ خَطِيئَتِي طَهِّرْنِي... طَهِّرْنِي بِالزُّوْفَا فَاطْهَرْ. اغْسِلْنِي فَأَبْيَضَ أَكْثَرَ مِنَ الثَّلْجِ» (مزمور ٥١: ١-٢، ٧). لنلاحظ حديث النبي داود المتكرر عن الغسل والتطهير. إذ هذه هي حاجة كل إنسان أن يغسل الله خطاياهم ويطهر قلبه.

هل تعلم مستمعي أن دم المسيح المسفوك على الصليب هو الذي يغسل الخطية ويطهر القلب؟ ولهذا كتب الرسول يوحنا من تلاميذ المسيح ورسله قائلاً: «وَدَمُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِهِ يُطَهِّرُنَا مِنْ كُلِّ خَطِيئَةٍ» (يوحنا ١: ٧ب). أجل لقد مات المسيح على الصليب لكي يكفر عن خطايانا ويغفرها وليطهر قلوبنا. وعندما تؤمن صديقي بعمل المسيح الكفاري هذا يغسل الله قلبك من الإثم والخطية، لا بل يخلق فيك قلباً جديداً. وهكذا تتحرر من سلطان الخطية، ويزول الحاجز بينك وبين الله، وعندها يقبل الله صلاتك. هذا هو الغسل والتطهير الحقيقي الذي يجب أن تسعى إليه. فهل تراك تؤمن بالفادي المسيح وعمله الفدائي من أجلك؟